الحسين والمرأة

الكلمة القيمة للآنسة الفاضلة بسيمة نوري الجلبي مديرة المدرسة الثانية للبنات في النجف وقد القيت في الحفلة التي اقامتها لجنة الخطابة في ثانوية النجف .

سادتي الاجلاء :

لم تكن المرأة العربية قبل أن يبزغ نورها هداية المحمدية على دنيا الجاهلية المظلمة ليمحو عصبيتها الممقوتة امرأة ذات حظ تغبط عليه ، وانما كانت مثاراً للشكوك والشبهات ومجلبة الحزن لأهلها ، حتى استحلوا وأدها بالرغم مما كانت عليه من ذكاء فطري وقاد .

ولما أن جاء دين العدل والمساواه ، فنادى قائلا : « واذا الموؤدة سُئلت بأي ذنب قُتلت » حتى وجدنا السنن تسن والشرائع تشرع لحماية المرأة واحترام حقوقها ، وذلك في زمن من بعثه الله للناس ليتمم مكارم الاخلاق ، وفي أيام من جاءوا بعده من الخلفاء الراشدين ، فاستطاعت المرأة بذلك أن تؤدي واجبها كاملا لانقص فيه ، ورافقت رجل المسلمين في ميادين الجهاد وسوح القتال منادية أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، مقدمة في سبيل الله المال والبنين ، حتى قسد على المسلمين أمرهم وذلك عند ماتولى قيادتهم وأمرهم - دون رغبتهم - رجل قد ابتعد بالدين عن مفهومه ذلكم هو يزيد ابن معاوية ، فأصبح واجباً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولكن ، من ينهض لاداء هذا الواجب المقدس ؟ لم ينهض له غير إمامنا وسيدنا الحسين بن علي عليهما السلام وهنا في هذه النهضة تقوم المرأة العربية المسلمة التي رافقت الدين الاسلامي في كل مراحله وأدواره الى عملها . إذ لم يرضها القعود عن أداء هذا الواجب المقدس ، فقامت سيدات بني هاشم وعلى رأسهن السيدة زينب بنت علي عليه السلام ، سيدة نساء زمانها بصحبة حملة الحسين الى أرض العراق ، فكن يبين له الدعوة وهن يسمعنه يقول :

إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذيني

فلا يجزعن من هذا القول ، حتى شهدن باعينهن مصرع الحسين وأصحابه الذين ذهبوا ضحايا للدين والذين كتبوا بدمائهم الطاهرة خير دستور قويم للتضحية السامية والفضيلة السافرة .

وقد بارزت سيدتنا زينب اعداءها بالكلام البليغ فكان أشد مضاء من الحسام وأمضى في الايلام ، فأخرست ألسنتهم وأقامت عليهم الحجة . فخطبتاها في مجلس ابن زياد ومجلس يزيد من بعده مشهورتان تدلان على موقفها وموقف نساء الحسين في واقعة الطف ذلك الموقف الكريم ، الأمر الذي ضاعف من منزلة آل البيت في قلوب الناس ، وأظهر معايب يزيد واتباعه القساة .

فاسمعوا السيدة زينب بنت علي بعد ان قال لها ابن زياد « الحمد لله الذي فضحكم واكذب احدوثتكم » تقول له بكل صبر ورباطة جأش [انما يفتضح الفاجر ويكذب الفاسق - وهو غيرنا - فقال لها ابن زياد « كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك ؟ » فقالت [ما رأيت الا خيراً . هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم يومئذ . ثكلتك امك يا ابن مرجانه] واسمعوا كذلك قولها في مجلس يزيد [...ا ظننت يايزيد حيث اخذت علينا اقطار الارض وآفاق السماء فاصبحنا نساق كما تساق الأسراء ، ان بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة وان ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك ..] الى ان قالت « أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك واماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وابديت وجوههن تحدو بهن الاعداء من بلد الى بلد » الى ان تقول [فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فو الله لاتمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تدرك امدنا ولا تدحض عنك عارها وحسبنا الله ونعم الوكيل] فلله درك يا كريمة صاحب (نهج البلاغة) لقد وقفت اشرف موقف امام السلطة الغاشمة ولا عجب في ذلك فانت ابنة علي .

ولم ينته دور المرأة بهذا فحسب ، بل بقيت تجوب البلدان منادية ان بنات رسول الله سبايا ، وان الحسين واصحابه صرعى بكربلاء قد اريقت دماؤهم ظلماً وعدواناً على سيوف اتباع يزيد ممن خدعتهم الدنيا وان يزيد قد خرج على الدين الحنيف ،

خطب الحوراء زينب الكبرى

الى المرأة التي عبثت بها الاقدار ، وطوحت بها نوائب الايام . الى المرأة التي تتخبط في دياجير الظلام وحالك الجهل ، وتتهكم في سبل الحياة ضالة غير مستهدفة ، اليك ايتها المرأة التي تاوهت الزمن وضربت عليك الامية بحناقها وقضى على مواهبك هذا المجتمع المضطرب فاصبحت عالة عليه وعضواً أشلا في جسمه

اليك ايتها المرأة نسوق خطب العقيلة زينب الكبرى بنت امير المؤمنين «ع» لتأخذي منها العبرة والموعظة الحسنة فهي المثل الاعلى للمرأة العربية وكلامها المثل الأعلى للبلاغة النسائية ، كما هي المقياس الذي تأخذين على ضوئه معرفة الحياة والايمان بالحق والاعتداد بالنفس والاعتزاز بالكرامة التي ولدها لك الدين الحنيف يوم ان كنت العوبة بايدي الوحوش الكاسرة الظالمين واليك الخطب الثلاث :

البيان

١ — الخطبة التي القتها الحوراء بالكوفة على الجماهير :

الحمد لله والصلوة على محمد واله الطيبين الاخيار ، اما بعد يا اهل الكوفة يا أهل الختر (١) والغدر اتبكون فلا رقأت الدمعة ، ولا هدأت الرنة ، انما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، تتخذون ايمانكم دَخلا (٢) بينكم الا وهل فيكم الا الصلف (٣) والنطف (٤) والكذب والشنف (٥) وملق الاماء ، وغمز الاعداء ، او كمرعى على دمنه (٦) او كفضة على ملحوده ، الا ساء ما قدمت لكم انفسكم ان سخط الله عليكم وفي العذاب انتم خالدون ، اتبكون وتنتحبون ، اي والله فابكوا كثيراً ، واضحكوا قليلا ، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ، ولن ترخصوها بغسل بعدها ابداً ، وانى ترخصون قتل سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، وسيد شباب اهل الجنة ، وملاذ خيرتكم ومفزع نازلتكم ، ومنار حجتكم ، ومدره سنتكم ، الا ساء ما تزرون ، وبعداً وسحقاً ، فلقد خاب السعى ، وتبت الايدي ، وخسرت الصفقة ، وبؤتم بغضب من الله ، وضربت عليكم الذلة والمسكنة ، ويلكم يا اهل الكوفة . اتدرون اي كبد لرسول الله فريتم . واي كريمة له ابرزتم . واي دم له سفكتم . واي حرمة له له انتهكتم . ولقد جئتم بها صلعاء عنقاء (٧) سوداء فقماء. خرقاء شوهاء . كطلاع (٨) الارض . او ملاء السماء .

(١) الختر بالتحريك الغدر والخديعة او اقبح الاعذار

(٢) اي خيانة ومكراً (٣) الصلف الادعاء تكبراً (٤) النطف التلطخ بالعيب (٥) الشنف بالتحريك البغض والتنكر (٦) الدمنه : ما تدمنه الابل والغنم بابوالها وابعارها (٧) الصلعاء الداهية . وما بعدها صفات لها في القبح والشدة «٨» طلاع الارض ملؤها.

وان حرمة القرآن قد هتكت فكانت المرأة بهذا كقنبلة وضعت في اساس الدولة الاموية فانفجرت وهدمت ذلك البناء الذى قام على اساس البغي .

هذا ما كان من امر المرأة في واقعة الطف ، ولاعجب في ذلك لان ! لحسين عليه السلام لم يبخسها حقها في حياته ، اذ نادى بفضلها وشجعها على مزاولة الادب والعرفان . وان عنايته بابنته سكينة وزوجه الرباب لخير دليل على ما اقول . فهو الذي كان يقول :

لعمرك انني لاحب داراً ... تحل بها سكينة والرباب

احبها وابذل جل مالي ... وليس لعاتب عندي عتاب

هذه هي المرأة العربية في الصدر الاول من الاسلام ، وهذه هي المرأة في ايام مولانا الحسين ، وهذا موقفها المشرف من النهضة الحسينية المجيدة ، وعلى هذا النمط نرجو من المولى ان يوفقها الى خدمة الدين الاسلامي الذي ضحى من اجله الحسين بدمه وباصحابه ، والسلام عليكم .

النجف الاشرف — بسيمة نوري الجلبي